من أمراضنا الاجتماعية :

البدع والخرافات

للاستاذ عيسى متولى

بالرغم من هذا التطور الذى شمل جميع نواحى الحياة فبدل أوضاعها وغير مجراها ، تجد أن هناك الكثير من البدع والخرافات لم ينلها التطور بشىء من التغيير أو التبديل ، فبقيت على ما كانت عليه فى القرون الأولى ترمز الى الجهل المطبق ، وتدل على الجمود فى التفكير .

ومن هذه البدع الشائعة ما يتعارض مع الدين لأنها تخرج عن حدوده ، ومنها ما لا يقره العقل لأنها تبعد عن نطاقه ، وبالرغم من كل ذلك نجد أن هذه الخرافات قد وجدت طريقها الى بعض النفوس ، وتمكنت منها تمكن العقيدة ، فاذا قمت فيهم ناهيا عن هذه البدع حسبوك ملحدا ، تحاول العبث بمعتقداتهم الموروثة ، التى يؤمنون بها الايمان كله ، و يقدسونها التقديس كله .

ولسنا نحن وحدنا المصابين بداء البدع دون سائر الأمم والشعوب ، فهناك خرافات يؤمن بها الغربيون حتى اليوم ، رغم ما بلغوه فى مضمار الحضارة من شأو وما أصابوه من رقى فكرى ، فهم يتفاءلون مثلا بالقط الأسود اذا مر ببابهم ، ويتفاءلون بالحدوة الحديدية ، بينما تراهم يتشاءمون من الرقم ١٣ و ينفرون منه ، و يتجنبونه كل التجنب ، فلا يجتمع ثلاثة عشر شخصا فى مكان واحد ... ولا تضم المائدة الواحدة ثلاثة عشر فردا ، لأنهم يتطيرون من هذا الرقم ، ولا يطمأنون اليه ؟

واذا حاولنا أن نقارن بين انتشار الخرافات عندنا و بين انتشارها عند غيرنا وجدنا أن تلك الخرافات تجد عندنا سوقا رائجة ، وتربة خصبة ، فنحن أكثر الناس تأثرا بها ، ولعل السر فى ذلك يعزى الى طبيعتنا ، وهى الاحتفاظ بالقديم وتمسكنا به .

ومن أسوأ البدع الشائعة عندنا بدعة " الزار " وهذه الحفلات التى تقام ليلا ونهارا ، وتقرع فيها الطبول ، وتنفق فيها النفقات الطائلة ، كأن هذه الطبول والشموع والقرابين التى تقدم للجن دواء يستطب به . وخير ما يقال فى هذه البدعة القبيحة ما قاله " شوقى " طيب الله ثراه على لسان جنى :

يعيب رجالهم فيقال عنا ... وتدفن عارها فينا النساء

وإن عجز المطبب قال داء ... من الجنى ليس له دواء

وإن فخرت صغارهمو فزلت ... فمنا معشر الجن البلاء

وخفنا من أذاهم فاحتجبنا ثما عصم الحجاب ولا الخفاء
وكم متعوذ بالله منا تعوذ الأرض منه والسماء !

* * *

وما زلنا نرى الكثيرين يقصدون أضرحة الأولياء للزيارة والتبرك ، فيقبلون الحجارة والحديد ، وهم بهذا العمل الذى لا يقره الدين يعيدون الى أذهاننا صورة من عهد الوثنية فى الجاهلية الأولى ، بل وأكثر من ذلك نرى آخرين يكتبون العرائض والمظالم يبثون فيها مظالمهم ومطالبهم ، ملتمسين من صاحب الضريح أن يحقق مآربهم ، ويقضى حاجاتهم ، ويشفى مرضاهم ، ويفرج كروبهم ، وجهل هؤلاء السفهاء أننا إنما نقصد أضرحة الأولياء للتقرب بهم الى الله سبحانه وتعالى والتوسط بهم عنده ، فيجيب دعاءنا ، ويحقق رجاءنا ، لأنهم لا يملكون لنا ولا نفعا .

وأذكر بهذه المناسبة ، أن بأحد مساجد القاهرة حجرا أثريا كان الناس يعتقدون أنه يبرئ كل مريض ، فكانوا يقصدونه من مختلف البلاد والأقاليم ويلعقونه بألسنتهم ، فكانت هذه البدعة عاملا من عوامل انتشار الأمراض ، وانتقال العدوى بين الكثيرين ، فحارب أولو الأمر تلك البدعة باحاطة الحجر بحاجز حديدى يمنع الناس من لعقه .

وتقع أعيننا فى الموالد على بدع ما أنزل الله بها من سلطان ، ولقد قامت وزارة الشؤون بجهود مشكورة فى محاربة تلك البدع ، بكتابة المقالات وتنظيم محاضرات الوعظ والارشاد التى تذاع فى الموالد .

ونشاهد فى الجنائز جموع النساء يشتركن فى التشييع وقد صبغن وجوههن بهذه الصبغة الزرقاء ، ويتبعن النعش على هذه الصورة المخزية ، نائحات صائحات ، وهذه بدعة تخالف الدين لأن معناها انتهاك حرمة الموت وجلاله ، ومقابلة إرادة الله وقضاءه بالسخط والغضب لا بالصبر والايمان .

وهناك خرافات تشيع فى مناسبات ومواسم معينة ، فمن الخرافات التى نشهدها فى " شم النسيم " إصرار الكثيرين على تناول البصل والفسيخ " وحرصهم على تلوين البيض ، واقتناء الخضر فى تلك الليلة التى يزعمون أن " الشمامة " تطوف فيها بالدور .

كما نشاهد فى مواسم رأس السنة الهجرية باعة البخور يجوبون الشوارع والطرقات ويزعمون أن فى بخورهم شفاء للناس ، ووقاية من الحسد ، فيقبل الناس على اقتناء هذا البخور للتبرك به .

ويعلق الكثير من الأمهات على صدور أطفالهن عدة حبات خضراء يسمونها " الخميسة " ويثقلن صدور الأطفال بالتمائم والأحجبة التى تعوق حركة التنفس ، والأغرب

من ذلك أننا نرى الأمهات فى الريف يلبسن الطفل ثوبا متعدد الألوان ظنا منهن أن هذا الثوب يحميه من " العين " ؟ بل وا كثر من ذلك فقد تعمد الأم الى ترك طفلها قذرا دون استحمام خشية أن يظهر أمام الجيران بمظهر النظافة فيحسدونه . وهذا منتهى ما يتصوره العقل من جهل وحماقة .

وهناك من تغير اسم طفلها ، لأنها تتشاءم من بعض الأسماء ، فيسمون أطفالهم أسماء مضحكة لكى يعيش الطفل طويلا . . وتقابلنا فى الطريق أحيانا أم تحمل وليدها وتجمع له من المارة القروش لكى يعيش .

وإذا مرض الطفل لم يبادر أبواه بحمله الى الطبيب المختص ليبرئه من علته ؛ بل راحوا يطوفون به الأضرحة ويصطحبونه الى الدجالين وأدعياء الطب الذين يضللون الناس بخورهم وتمائمهم ، ولهذه البدعة الكثير من الضحايا من هؤلاء الأطفال الأبرياء .

ويعتقد الكثيرون فى اختلاج العين ؛ فاذا اختلجت العين اليسرى تتطيروا وتوقعوا شرا مستطيرا ، واذا اختلجت العين اليمنى استبشروا وتوقعوا خيرا كثيرا .

وإذا جرى الدم فى عروق يدهم اليمنى قالوا سنحيي ضيفا وإذا جرى فى اليسرى قالوا سنقبض مالا .

كما يعتقد آخرون فى الشعوذة والتدجيل ومعرفة الطالع عن طريق "الرمل" أو "الودع" أو "قدح القهوة" أو ورق اللعب أو ما الى ذلك من خرافات سقيمة لا يقبلها العقل السليم .

إن إيماننا بهذه البدع والخرافات يزعزع إيماننا بالله وقدرته ، لأنها تصرفنا عن عقيدتنا وتصور لنا الحقائق تصويرا خاطئا مشوها .

خليق بنا أن نحارب تلك البدع فى مختلف مظاهرها وشتى صورها بكل ما أوتينا من قوة وجهد ، عملا بوصية الرسول الكريم : " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وهذا أضعف الايمان " . وأى منكر أنوأ من هذه البدع التى نشهدها .

لقد وصف لنا الرسول الأمين فى قوله صلوات الله عليه وسلامه : كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار " فلنحارب هذه البدع حتى نقضى عليها ، ونتسخها من العقول ، ومحاربة تلك البدع يكون بتسليط نور العلم وتعاليم الدين عليها فتتلاشى أمام هذا النور ، ولا تلبث أن تنقشع غياهب سحبها القاتمة المظلمة .

عيسى متولى